قبائل الأطلس المركزي في القرن 20 من خلال كتاب:

LES BERBERES MAROCAINS ET LA PACIFICATION deL 'ATLAS CENTRAL A.GUILLAUM

الطالبة الباحثة: غزلان حيداوي

إشراف الدكتورة: فاطنة الغزي

كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة ابن طفيل، القنيطرة

المغرب

مقدمة:

ساهمت العديد من الكتابات خاصة الكولونيالية، من طرف ضباط وأجانب شاركوا في مختلف العمليات العسكرية، على إبراز سمات المجتمع المغربي وخصوصياته سواء الجغرافية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، خلال فترة الاستعمار، مع إعطاء وصفا دقيقا لحياة هذا المجتمع وعاداته وتقاليده، وذلك من خلال الاستعانة بالعديد من المناهج الانثروبولوجية والاثنوغرافية والسوسيولوجية وغيرها.

وقد شكلت هذه الكتابات مرجعا تاريخيا لكل باحث في تاريخ وتراث المجتمع المغربي وطبيعة عيشه، وأحواله الاجتماعية وتنوع تضاريسه، ونظامه القبلي في هذا الإطار نذكر من أهم الضباط الذين كتبوا عن المجتمع المغربي وخاصة ساكنة الجبل، هو الجنرال كيوم في كتابه الامازيغ المغاربة وتهدئة الاطلس المركزي مابين 1912-1933، والذي حاول من خلاله تسليط الضوء على بقعة مجالية محددة

بالتركيز على مختلف الأحداث والمراحل التي عرفتها هذه المنطقة خلال إخضاعها من طرف القوات الفرنسية، وأعطى وصفا دقيقا للمجال كأنه جزء منه، واعترف بمقاومة المجال للمستعمر أكثر من مقاومة الساكنة، فالمجال الجبلي شكل جزء مهما في الدفاع عن الوطن لدى قام كيوم بإعطاء دراسة حول المجال والخصوصيات الطبيعية وتكيفه مع الساكنة الموجودة فيه. اذن من خلال هذا الكتاب الدقيق والشامل سوف نركز على جزء مهم منه وهو التنظيم الاجتماعي والقبلي لساكنة الأطلس المركزي، فما هي أبرز القبائل التي استوطنت الاطلس المركزي؟

1- نبذة عن حياة الكاتب:

صورة للجنرال كيوم

هو أكيست ليون كيوم ازداد بتاريخ 30 يوليوز1895 وتوفي في فرنسا سنة 9 مارس 1983، وهو جنرال في الجيش الفرنسي، ومن أشهر القادة العسكريين الفرنسيين خلال الحرب العالمية الثانية، وقد قام بتنظيم وقيادة الكوم المغاربة خلال الحملة الايطالية التي قامت بها قوة التدخل السريع الفرنسية، ثم ترأس الشعبة الثالثة للمشاة الجزائريين خلال حملات فرنسا وألمانيا بعد الهبوط في بروفانس في غشت 1944.

ثم كذلك ترأس أركان القوات المسلحة ومن أهم أعماله:

- التحق بالمدرسة العسكرية
- في سنة 1914 -1918 شارك في الحرب العالمية الاولى تعرض خلالها. للأسر وأطلق سراحه بعد نهايتها.
- وفي 1919 تقلد عدة مهام منها الخدمة بمركز الشؤون الأهلية بمكناس.
- في سنة 1928 عين قائدا للفرقة المتنقلة المتجهة لإخضاع قبائل الطلس
- في سنة 1933 ثم تعيينه قائدا لمركز أزيلال.
- قاد الفرقة السلطانية المشاركة في الحرب العامية الثانية إلى جانب دول الحلفاء في تحرير فرنسا من النازية سنة 1944.
- تم تعيينه سنة 1951 مقيما عاما للمغرب خلفا للجنرال جوان.
- شغل عدة مهام عسكرية ومدنية منها انتخابه عمدة لمسقط رأسه.

2- نبذة عن الكتاب:

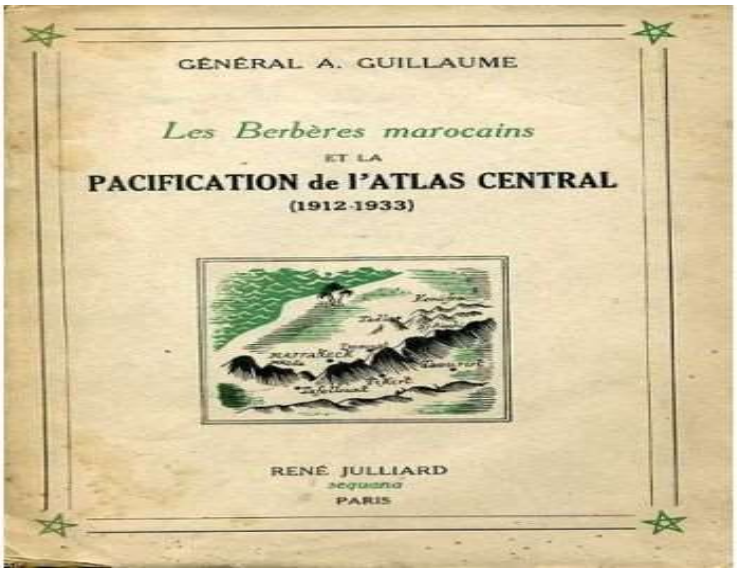

يعتبر كتاب **les berbères marocains et la pacification de l'atlas central** من أهم أعمال الجنرال كيوم صدر سنة 1946، حيث تطرق إلى وصف قبائل الاطلس المركزي ومعطياته البشرية وكذلك مقوماته الاقتصادية وبنياته الاجتماعية وغيرها. كما تم تقسيم الكتاب إلى ثلاث أجزاء، الجزء الأول خصه إلى الوسط الجبلي ثم ساكنة هذا المجال، أما الجزء الثاني تم التركيز على العوامل الرئيسية التي تداخلت وتظافرت لتهدئة الأطلس المركزي، ثم الجزء الثالث استعرض فيه أهم المراحل الكبرى التي قطعتها القوات الفرنسية من أجل اخضاع وتهدئة الأطلس المركزي بشكل نهائي.

والهدف من هذه الدراسة هو إظهار مراحل التهدئة في الاطلس المركزي من طرف القوات الفرنسية من سنة 1912 إلى سنة 1933، والتي سعت من خلالها القوات الفرنسية إلى بسط نفوذها وأطماعها على التراب المغربي. لكنها لم تلبث إلى أن وجدت مواجهة شرسة من طرف القبائل التي رفضت الخضوع إلى سيطرة المستعمر، ثم مواجهة أخرى يمكن أن نقول مواجهة طبيعية أن وعورة المجال وصعوبة تضاريسه شكل عائقا أمام المستعمر لدى تطلب منه بدل جهد كبير من أجل التقرب ومعرفة حياة سكان هذا المجال ومعرفة طريقة عيشهم وعاداتهم وأنشطتهم وغيرها. هذا ما أشار إليه كيوم في مقدمة الكتاب، أن المجال الجبلي شكل مقاومة شرسة في وجه المستعمر الفرنسي.

3- قبائل الأطلس المركزي في القرن 20:

تتوزع مختلف ساكنة الأطلس المركزي على شكل قبائل:

❑ قبيلة أيت سخمان:

تتشكل من 4000 عائلة، تحظى بمكانة ومرتبة راقية داخل الأطلس المركزي، وذلك راجع لموقعها الجغرافي المتميز، وكذا دورها التاريخي، ويتموقع مجالها بين الأطلس المتوسط والكبير من واد العبيد وسهل بني ملال إلى حدود قمة جبال **إغيل بإمكداز**.

وتتشكل قبيلة أيت سخمان من ثلاث فخذات أهمها:

- **أيت عبدي**: 1600 عائلة
- **أيت داود أوعلي**: 1600 عائلة
- **أيت سعيد وعلي**: 800 عائلة.
- **أيت عبدي:**

يشغلون مجالا شاسعا يمتد من الجنوب إلى الشمال.

في اتجاه الجنوب نجد أيت عبدي المستقرون بمنطقة **كوسر** وهم **"أيت أوعفار** وكذا **أيت خويا احماد"** يمثلون الساكنة المتخلفة والأكثر فقرا وبؤسا في الأطلس ويمتدون من منطقة كوسرحتى الهضبة الجنوبية، كما هو الحال بالنسبة لجميع القبائل، فإن أيت عبدي يعانون خلال فصل الشتاء نظرا لقساوة المناخ، مما يحتم عليهم البحث عن ملاجئ في الممرات الضيقة لأقانتفروات ويعتمدون على الكهوف كمستقر وكمأوى لقطعانهم.

أما **أيت بندق** فإنهم يتمركزون في ممر **أسيف ملول**، وتعد الهضبة التي تدعى **إسروتا** ملكا **لأيت عبدي**؛ حيث يجعلون قطعان ماشيتهم تنتجع خلال فصل الصيف، بالإضافة إلى استفادتهم من مناجم الملح تقع في منطقة " **تاسرافت"**، ويقتنون بضائعهم في سوق على الضفة اليسرى من واد العبيد في منطقة **"بوتفردة"**، حيث قاموا بتشييد مدينة **أغبالة**، **تيزي نيسلي**، وكذا تيحونا (يقصد تيحونا نايت إيدير) في شمال هذا الواد، وهم على اتصال بأيت سري وتقضي قطعانهم فصل الصيف بسهل أزغار فال.

وفي جنوب أيت عبدي نجد:

- **أيت داود أوعلي:**

قادمون من حوض أنركي متجهين نحو الشمال حتى اجتازوا واد العبيد، وتنتمي إليهم كل من **تاكفلت**، **تيفرت نايت حمزة**، ولهم سوق على الضفة الشمالية في أربعاء أوقبلي، حيث تنتجع قطعانهم في الهضاب الشمالية لـ **تانوت نبوحور** أو نبورغ حاليا.

- **أيت سعيد واعلي:**

يشكلون طليعة أيت سخمان في اتجاه الشمال عبر الذروة الشمالية للأطلس المتوسط ليستقروا في المنحدرات الصخرية والساحة الممتدة من تاصميت حتى بني ملال، يجاورون داود واعلي.

إن مجال أيت سخمان يتكون على الأساس من اتحادية عنيفة وجبال شامخة وصعبة الاختراق.

في حين نجد كل من بني مطير وبني مكيلد وأيت إشقيرن، وأيت إيحاند، تستقر شرق ايت سخمان تشغل الأطلس المتوسط، أما أيت عياش وأيت يحيا فنجدهم يشغلون ويملكون الأطلس الكبير بالجنوب من نهر ملوية.

❑ **بني مطير:**

يتكون بني مطير من 1700 كانون يستقرون بهضبة الحاجب في الشمال وصولا حتى ضواحي مكناس، محكمين سيطرتهم على الطريق الرابطة بين فاس مكناس، وفي الشمال يعد مدخلا لبلاد بني مكيلد.

❑ **بني مكيلد:**

يتكونون من 4000 كانون، استقروا بالمنطقة منذ بداية القرن 19، حيث تقدموا حتى نواحي **تيكريكرا tigrigra**، بل أكثر من ذلك فقد وصلوا حتى قمم **أزرو** على حساب بني مطير، فالفخذات المتواجدة بالطرف الشمالي تشغل كل من غابات **أزرو** وعين اللوح، الهضاب العليا ل "**بكريت bekrit**"، قطعانهم تتنقل بين هضبة بكريت صيفا وأداروش، في قمة " **إيطو itto**" خلال فصل الشتاء، بينما الفخدات المستقرة في أعالي ملوية (**أيت أغادير، أيت بوكمان، أيت مسعود**) فهي تستغل هذا الواد انطلاقا " **إتزر itzer** إلى حدود أزرو).

وموقع بني مكيلد الممتد بين أزرو وتمحضيت جعلهم أسيادا متحكمين في أهم الطرق الجنوبية التي تقودنا من مكناس نحو زيز عبر طريق تاغزافت وميدلت.

يعتبر مجال بني مكيلد صعب الاختراق والتوغل نظرا لكون غابات الارز تحتل نصيبا كبيرا فيه، وتوجد في شرق قبيلة بني مكيلد قبيلتين هما أولا زيان:

❑ **زيان:**

يتمتعون بموقع متميز حيث يستقرون بحوض خنيفرة، يراقبون تحركات الرحل المنتجعين بين الجبال و**الازغار**، ويقومون بالاستفادة في نفس الوقت من مراعي الجبال (**جنان إميس**، وهضبة **أيت بومزيل** وكذا من وادي **بو إدجي**) كلها أراضي سهل "**أدخسان**"، وسهول **الأزغار**، التي توفر مورد عيش مهم لقطعانهم خلال فصل الشتاء، ثم انتشار زراعة الشعير بوفرة لإطعام الجنود والفرسان التي تعتبر مصدر وأساس قوتهم الحربية الشيء الذي يفسر سيطرتهم على القبائل الأخرى.

منحهم موقعهم بين السهل والجبل عند مصب ام الربيع فرصة لتسويق قطعانهم المتمثلة في الخرفان التي كان تحضى بإقبال كبير في أسواق فاس.

تتميز قبائل زايان وبني مكيلد بكونهم أقل المستقرين في مجمل قبائل الأطلس، فهم يرتكزون على إيقاعات الفصول وتنقلات قطعانهم بين الأزغار والجبال معتمدين في سكنهم على خيام سوداء مصنوعة من الصوف، فرغم قلة عدد قصباتهم، فثروتهم منوطة و مرتبطة بقدراتهم الحربية، وكذلك موقعهم الجغرافي أوجب عليهم لعب دورا كبيرا خلال فصل الشتاء، حيث يلتقون في مخيمات الأزغار في اتصال مع **زمور** و **زعير** إضافة إلى منطقة الرباط مكناس، في حين أن عاصمتهم هي خنيفرة، حيث يقومون بمراقبة الطريق المباشرة، أو الرئيسية بين مراكش ومكناس الشيء الذي منح القبيلة وزنا كبيرا على الساحة السياسية الأمازيغية ناهيك عن سياستنا.

❑ **إيشقيرن:**

يضعون جنوب زيان مستقرا لهم، ويتكونون من 2100 عائلة، وهم سادة الشريط الزراعي الذي يقسم الجزء الأسفل من واد صفروا إلى ملوية، يحكمون سيطرتهم على عتبة تافيلالت حتى " **ألمسيد**" الذي يفتح طريق من خنيفرة نحو واد العبيد.

تشكل "**لقباب**" مركزهم حيث تقع شمال الممر الآتي من **ألمسيد** و**أزرو** عبر ممر "**تانوت أو فيلال**" لا يتوفرون على خيول كثيرة لكن قطعانهم كثيرة مقارنة بزيان.

بين كل من بني مكيلد وتجمع زايان–إشيقرن تستوطن مجموعة من القبائل ليست مهمة سياسيا:

- **أيت سكوكو:**

تتكون هذه القبيلة 6000 كانون، يستقرون في الشمال وهم: مرابطين، أهم فخذاتهم **أيت سيدي علي، أيت سي العربي، أيت سيدي عبد العزيز**، يتخذون من منابع أم الربيع موطنا لهم، يمتد نفودهم حتى الشمال بمحاذاة **بني مكيلد**، ووادي **تيكريكرة** حيث يتوفرون على زراعات متنوعة، كانوا في صراع دائم مع زيان ونفوذهم عبر طرق عديدة نحو الشرق.

نجد قبيلة **أيت إيحاند** في اتجاه الجنوب، استبسلت في الصمود بالقرب من الوادي الضيق "**سرو**" واتخذت الغابات مستقرا لها.

في المقابل من تادلا، بين **زيان وإشقيرن** في الشرق، نجد **أيت سخمان** في الغرب، **أيت سري (أيت ويرا، وأيت محند، أيت عبد اللولي)** يشكلون في المجموع 5000 كانون، يقطنون في حوض درنة شمال الأطلس المتوسط من جهة **تيزي نايت ويرا** من جهة أخرى.

في فصل الشتاء تنتجع قطعانهم حتى أم الربيع ومرتفعات قصبة تادلا، ومركزهم القصيبة شمال **تيزي نايت ويرا**.

يتوفرون على العديد من المزروعات وكذلك على عدة قصبات **بونوال وناوور** ثم **بن شرو** في وديان درنة، و**أغزيف**. وتاكزيرت محاطة بحدائق جميلة، عند مخرج خوانق درنة. ويسيطرون على الممرات المؤدية من القصيبة إلى أغبالة من جهة وتاكلفت من جهة أخرى.

توجد بين أيت سري وزيان قبيلتين صغيرتين.

- **أيت أم البخت:** 1400 كانون
- **أيت إسحاق:** 1200 كانون

- **أيت يحيا:**

ضمت هذه القبيلة 1600 كانون في شرق أيت سخمان، وبالضبط جنوب ملوية العليا يشغلون الفجوة الفاصلة بين جبل العياشي.

يعتمدون على مسالك أخرى تقودهم إلى **ملوية** عبر **واد زيز**، مركزهم هو **تونفيت** لهم سوق مهم، مركز فخده **أيت علي أوبراهيم** على **واد أودغس**. ونجد أيضا فخدة **أيت حنيني** تمتلك مع المرابطين مصب **أيت سيدي يحيا ويوسف بوعاديل**. حيث تجد قطعان أيت يحيا تنتجع على الضفاف الجنوبية لنهر ملوية في فصل الشتاء.

تتميز بلاد أيت يحيا بطابع جبلي، ولها مدخل خاص يتصل بالشمال.

تستوطن قبيلة **أيت يحيا** الصغيرة شرق **أيت عياش** يزرعون **وادي أنسكمير** في حين أن واحدة من هذه الفخدات تستوطن المنحدر الجنوبي **لجبل العياشي**.

إن القبائل المستوطنة للأطلس المركزي، غرب أيت سخمان هي قليلة العدد وقليلة الأهمية بالمقارنة مع سابقاتها فيما يتعلق بتربية المواشي، وعدد الخيول، أغلبهم مستوطنون ويتميزون بالبسالة في القتال.

بني ملال وواويزغت:

توجد بين كل من بني ملال وواويزغت فخدة:

- ✓ **أيت عطا نومالو** تتكون من (1500 كانون)، يعتبرون كحراس أيت عطا الصحراء، حين زحفوا نحو الشمال يراقبون ممر غنيم أو رنيم. يقع سوقهم في **واويزغت** عند مفترق مسارات **تيلوكيت** و**أزيلال**.

بالقرب من أيت عطا نومالو، نجد:

- ✓ **أيت بوزيد**: يتكونون من 1500 كانون، يشغلون الضفة الشمالية من واد العبيد، حيث تكون السهول فيضية، وتشكل نقطة التقاء المصب مع أحنصال، وهم على ارتباط دائم مع **بني عياط** شمالا، و**أيت عتاب** غربا.

ونجد في الجنوب واويزغت:

- ✓ **قبيلة أيت إسحاق**: يتكونون من 1200 كانون ويسكنون الجبال، في الحدود الفاصلة بين واد العبيد وواد أحنصال ومن فخداتهم:

- ✓ **أيت حسين**: التي تقع قصباتهم وأراضيهم جنوب واد احنصال، ومركزهم **تيلوكيت نايت إصحا**، نقطة عبور ضرورية للتوغل لأحنصال، والسوق لديهم يشكل أداة للتواصل بين **تيزي نايت عيسى** مع **واويزغت** وتتردد عليه ساكنة مرتفعات أحنصال.

- ✓ **أيت إصحا**: يشكلون قبيلة متجانسة، ويتصف محاربوها بالشجاعة وهم رماة ماهرون حيث نجد فخدة صغيرة من **أيت اسيمور** قد واجهت **واويزغت** التابعة لها. في حين أن **أيت مازيغ** المستقرين في الزاوية الحنصالية.

وتوجد في الجنوب أيت إصحا قبيلتين صغيرتين:

- ✓ **إحنصالن**: يتكونون من 200 كانون لديهم **أصول** متصوفة.

- ✓ **أيت بويكنيفن**: يتكونون من 20 كانون وهي فرع من الإتحادية الكبرى لأيت عطا الصحراء، إنهم محاصرين في أعالي واد أحنصال، وعلى الهضبة التي تجمع بين الكتلة الصخرية **لتالمست** و**أزوركي** شرقا، خلف أيت سخمان وبدون أي إتصال كبير مع القبائل السالفة الذكر نجد:

- ✓ **ايت حديدو**: يتكونون من **2500** كانون، ويتخذون من أعالي **واد أسيف ملول** موطنا لهم، لهم زراعة غير مهمة، قاموا ببناء و**تشييد** عدد كبير من القصبات ذات الطابع الصحراوي، كما تفرعت الفخذات عن القبيلة وبسطت كامل سيطرتها وهيمنتها على مجموعة من الوديان الصحراوية. وهم يتواصلون عبر عتبات سهلة بين الحوض العلوي **لأسيف ملول**،

إمدغاس في **أعالي دادس وأمدغوسو** بأعلى **غريس، تزارين، بأعلى زيز**، كما نجد أيضا فخدة **أيت عامر**، دفعت بنفسها في اتجاه الشمال لتتخذ من **أنفكو** مستقرا لها على "**أغدو**" الأعلى.

ولقد فوجئنا باهتمام أيت حديدو لأسيف ملول باستغلالهم لضفافه كضيعات صغيرة مسقية، إذ يملكون مراعي جيدة تنتجع فيها قطعانهم صيفا، أما في فصل الشتاء فيقدمون على الترحال صوب أعالي غريس نحو تودغة.

والذي يميز أيت حديدو عن باقي قبائل الأطلس هو انسجامهم، وعاداتهم، وتقاليدهم وخصوصيتهم المتمثلة في اتحادهم مع **أيت مرغاد** في السفح الصحراوي، والذين يستنجدون بهم دائما في صراعاتهم المتكررة مع أيت سخمان، يعتبر كونهم أسياد الممر الرابط بين أغبالة وواد العبيد والأودية الصحراوية، عبر أعالي أسيف ملول نقطة المرور الضرورية للمغرب المركزي، ومصدر القوة التي يمتازون بها.

وتستوطن الإتحادية الكبرى، **لأيت يفلمان** في الطرف الشرقي للأطلس الكبير، وسفحه الصحراوي التي تضم قبائل متعددة ومتنوعة من قبيل **أيت إيزدك وأيت مرغاد**.

- **أيت إزدك الشماليين:**

تتكون قبيلتهم من 1000 كانون، وينتمون إلى قبيلة تحمل نفس الاسم والطرف المهم منهم يقع في جنوب وشرق الجبل، ومنطقتهم السكنية تقع في ميدلت، يحدها عالية مجرى نهر ملوية في الشمال، أما من جهة الجنوب نجد جبل العياشي، يمثل **أيت أوفلا** غربا بمعية **أيت عياش** شرقا يشكلون جيرانا لهم، ويعتبرون رحلا قدامى تحولوا إلى مستقرين ولديهم ميزات حربية.

- **أيت مرغاد:**

استقروا في السفح الصحراوي للأطلس الكبير، ويمثلون القبيلة الأهم إذ يبلغ عددهم 6000 كانون، غالبيتهم رحل، أما بعض فخداتهم أصبحوا مستقرين نظرا لبحثهم المستمر عن الماء.

ومن أعنف رحل أيت مرغاد نذكر "**أيت عيسى إزم**"، يقطنون المجال الواقع بين **فركلة** حتى **ملوية** وسوق **ميدلت الريش وسيدي يعقوب** كمركز جذب، وينتجعون خلال فصل الصيف عند **أيت حديدو** في **أسيف ملول**، وصولا حتى **كوسر** في **الأمدغوس** و**الإمكداز**، في حين أن المستقرين يقطنون في قصور متفرقة في أودية حوض **غريس** حتى **إيفر وإيمدغاس**.

وعل العموم **فأيت مرغاد** هم محاربون يتصفون بالبسالة والشجاعة، على الخصوص القاطنون منهم في الشمال حيث أنهم لم يخضعوا أبدا للمخزن وحيث تأثيرات **ايت عيسى إيزم**.

خاتمة:

نستنتج من خلال ما سبق أن جنرال كيوم قام بدراسة معمقة للأطلس المركزي بكل خصوصياته الطبيعية والبشرية والاقتصادية والثقافة وهذه الدراسة تخفي وراءها العديد من الأيديولوجيات التي تكمن بالأساس في إعطاء وصف دقيق لمكونات القبائل وحياتهم وطريقة عيشهم وعاداتهم وتقاليدهم وصراعاتهم مع القبائل المجاورة، وذلك من أجل تسهيل على المستعمر

الفرنسي عملية الولوج إلى هذا المكان، والسيطرة عليه، كما شكل هذا المجال مركزا تفاعلات امتدت بين التحالف والصراع بين مكوناته إضافة لكونه مجال يصعب ضبطه وذلك نظرا للدور الدفاعي الذي تبنته القبائل الممتدة عبر هذه المنطقة والذي يبدو جليا من خلال مقاومة الاستعمار.

ولا ننسى رغم أن الكتاب يشكل هدفا سياسيا لاستعمار المغرب، إلا أنه يظل مرجعا تاريخيا مهما للباحث في التاريخ والتراث الجهوي خاصة في الجزء الذي قمنا بدراسته المتعلق بقبائل الأطلس المركزي في الفترة قبل الاستعمار، لكونه يمدنا بمعلومات وافية عن هذه القبائل والتي ستمكن الباحث من معرفة من الذين تغير في هذه التركيبات ومن الذي حافظ على استمراريته.